وإن كلا الإفراط والتفريط في الخصومة محظور والعوان بينهما محبور فـ «من بالغ في الخصومة أثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم»[١].

ولا يعني ذلك النهي إلّا قطعاً لآمال الخائنين أياً كانوا، أن ليس النبي بالذي يميل إلى باطل أو مبطل، فإنه معصوم بعصمة ربانية سامية علماً وعملاً.

وهنا نهيان ينهيان النبي ﷺ عن الوقوف بجانب الخائنين المختالين، يتوسطهما أمر الاستغفار، وهما ينهيان كلّ رجاء باطل عن ساحة النبوة القدسية، ثم وأمر الاستغفار ليشمل غفرانه تعالى هؤلاء الخائنين المختالين إن تابوا إلى الله عما افتعلوه.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾:

وليس يجب أن يختص استغفاره ﷺ بما هو عن ذنبه، إذ لا ذنب له فإنه معصوم بعصمة إلهية، بل هو استغفار للمؤمنين متخلفين وسواهم، أم واستغفار عن أن يميل إلى هؤلاء الخائنين المختالين أو عن أن يميِّلوه استمراراً للعصمة الربانية التي تصده عن كلّ انحيازة، وتسد عنه كلّ عائبة آئبة من قبل الأمة، وليكون صامداً غير هامد بجنب الله، حاكماً طليقاً بأمر الله بما أراه الله، وكما ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وما ذنبه إلّا كيانه الرسالي ككل كما في آية الفتح ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣] حيث الذنب لغوياً هو ما يستوخم عقباه، وقد كانت عقبى هذه الرسالة السامية في الأولى وخيمةً لولا أن فتح الله له ﷺ ذلك الفتح المبين، وهي في نفس الوقت عقبى سامية رحيمة في العقبى.

(١) نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام.
(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٢.

فقد أمر ﷺ بـ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۚ﴾ فيما أمر أن يتطلب من الله الغفر والستر على النفس عن التميل إلى الخائنين، وقد غفره الله وستره وكما قال بعد ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ﴾[1].

فلقد كان في صيانة الله عن كلّ ميلة إلى الخيانة والخائنين مهما بلغ الأمر الإمر في الضغط عليه، فقطع عنهم آمالاً لهم في إضلاله ﷺ فلم يهموا، فضلاً عن أن يضلوه أو يضل هو بنفسه!.

لذلك فلم يهم النبي ﷺ بكونه خصيماً لخائن فضلاً عن فعله حيث عصمه الله حتى عن هم الخائنين على حمله!.

إذاً فمحور الاستغفار بحقه ليس هو الغفر والستر على نفس النبي القديسة أن يهم لهم أو يفعل لصالحهم بل عن هم الخائنين في محاولة إضلاله في ذلك المجال العجال، وبذلك تضرب الروايات المتهمة إياه أنه همَّ أو كاد أن يهم تضرب عرض الحائط ولا ينبئك مثل خبير.

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾:

كيف هنا «لا تجادل» ولم يكن الرسول ﷺ ليجادل عن الذين يختانون أنفسهم؟ علّها تعني كافة المكلفين على الأبدال، كما ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ﴾ الآتية تدل عليه، ثم ولا بأس بعنايته ﷺ في المعنيين بالخطاب، وليعلموا أنه لن يجادل فتنقطع آمالهم الكاذبة عنه.

ثم والنهي عن شيء لا يدل على أن المنهي فاعله، بل قد يكون تدليلاً على الحرمة رسالياً وهو تاركه رسولياً، ثم وتدليلاً على واجب الاستمرار في الانتهاء.

(١) سورة النساء، الآية: ١١٣.

ولماذا هنا ﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ وهم خانوا سائر الأنفس؟ علّه للتدليل على أن الذين يخونون سائر الأنفس فإنما يختانون - أولاً - أنفسهم حيث ترجع الخيانة إليهم أنفسهم، والاختيان هو الافتعال الاحتمال للخيانة، ففعالية الخيانة بالغير هي راجعة إلى المختان يوم الدنيا ويوم الدين، مهما انضرَّ بها المختان يوماً من الدنيا.

فحين تضر الخيانة بالغير يوماً ما وهو مظلوم، فقد تضر الخائن كلّ الأيام حيث يخون مبدأ الإنسانية العطيفة العفيفة، ويخون الأمانة الملقاة على عاتق الإنسان، فيعرِّض نفسه الخائنة لغضب الله وعذابه، كما عرَّضها هنا لغضب المظلومين، فنفس الخائن هي أكثر تأثراً بخيانته ممن اختانه، فهي - إذاً - تختان نفسها قبل وأكثر مما تختان غيرها.

ثم اختيان الأنفس يشمل الخيانة غير المتعدية كما المتعدية، وقد عني به طليق الخيانة، فالمجادلة عن المختان محظورة أياً كان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ بنفسه أم وسواه ﴿أَثِيمًا﴾ يعيش الإثم وهو كلّ ما يبطئ عن الصواب.

ولماذا هنا ﴿خَوَّانًا﴾ مبالغة والخائن أياً كان يبغضه الله؟.

علّه بمناسبة شأن النزول حيث خان في الدرع الذي سرقه ونسبها إلى اليهودي؟ ثم لما افتضح فر إلى مكة وارتد ونقب حائط إنسان للسرقة فسقط عليه الحائط فمات.

ثم التنديد الشديد ليس إلّا بكل خوّانٍ أثيمٍ، دون كلّ خائنٍ آثم.

ثم الذي لا يحبه الله هو مبغضه بطبيعة الحال، إذ لا عوان لله بين بغض وحب إلّا إذا كان جاهلاً أو غافلاً عوذاً بالله، فكيف تجادل عن الذي يبغضه الله وأنت حبيب الله!.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾:

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ اختيانهم «عن الناس» خوفةً منهم أم رعاية لهم وكأنهم أحق من الله ثم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وكأنه لا حقَّ له أم هو أدنى ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ. . .﴾[1].

ترى ذلك الاستخفاء من الناس هو بالإمكان محظوراً أو محبوراً، فكيف الاستخفاء من الله ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾؟.

لأنه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ فلا يعني الاستخفاء عنه إلّا ترك ما يستخفونه من الناس إذ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ وهذه المعية العلمية حيطة شاملة هي أحوط منهم على أنفسهم «وهو أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» والمعية في القدرة الشاملة وهي أقدر مما لهم على أنفسهم، هذه المعية تقتضي لمن يعرفها قضية الإيمان بالله أن يستخفي الخيانة من الله فلا يخون، ثم لا حاجة إلى الاستخفاء عن الناس إذ لا خيانة، فهو - إذاً - بريءٌ فيما بينه وبين الله وما بينه وبين الناس.

وإن ذلك الاستخفاء من الناس دون الله صورة رزية مدعاة إلى السخرية

---

(١) نور الثقلين ١: ٥٤٨ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أناساً من رهط بشير الأدنين انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا نكلِّمه في صاحبنا ونعذره فإن صاحبنا لبريء فلما أنزل الله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ - إلى قوله - وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٨، ١٠٩] فأقبلت رهط بشير فقالوا: يا بشير استغفر الله وتب إليه من الذنوب فقال: والذي أحلف به ما سرقها إلّا لبيد فنزلت ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا. . .﴾ [النّساء: ١١٢] ثم إن بشيراً كفر ولحق بمكة وأنزل الله في النفر الذين اعذروا بشيراً وأتوا النبي صلى الله عليه وآله ليعذروه:
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ - إلى - وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النّساء: ١١٣] ونزلت في بشير وهو بمكة ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ - إلى - مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

بما فيها من ضعف والتواء حيث يبيتون ما لا يرضى الله من القول استخفاءً من الناس الذين لا يملكون لهم نفعاً ولا ضراً، ثم لا يخافون ويستخفون من الله الذي يملكهم ويملك كلّ شيء، فأين يذهبون، وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون، أإفكاً آلهة دون الله يريدون!.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾:

«ها» ألا فانتبهوا «أنتم هؤلاء» المجادلون عن الخائنين المختانين أنفسهم ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ونفعتهم جدالكم، ولكنها ليست لتفيدهم في حساب الله، إذا ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ والحاكم هو الله لا سواه ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ يتوكل أمرهم الإمر في يوم الله؟!.

فما هي جدوى الجدال عنهم في هذه الهزيلة الزائلة القليلة، وهي لا تدفع عنهم في تلك الهائلة الثقيلة.

وإنها حملات غاضبة على الواقفين في صفوف الخائنين جدالاً عنهم لصالحهم ضد الأبرياء، ومن ثم تقريرات هامة للقواعد العامة لأمثال هذه المجادلة الخائنة:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾:

﴿يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ تعم لازم الظلم ومتعديه، فهل إن ﴿سُوٓءًا﴾ تختص بالأول أو الثاني أو كما الظلم يعمهما؟ قد تعني ﴿سُوٓءًا﴾ خفيف العصيان حيث تقابل الظلم، مهما عم كلّ منهما كلًّا منهما، وهما على أية حال تشملان كلّ دركات العصيان الموعودة هنا بعد الاستغفار بالرحمة والغفران،

وطبعاً بالشروط المسرودة في سائر القرآن فـ «من أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة»[١].

وهكذا تفسر ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾[٢] [٣] و﴿أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٤]، فكما لعمل السوء دركات كذلك للتوبة عنه درجات ولا يظلمون نقيراً.

فهنا بعدما مضى من التهديد الشديد والتنديد المديد بالمختانين الأثَماء، وعد بعد وعيد وفتح لباب الرحمة بمصراعيها على وجوه العصاة أن يستغفروا الله بما يصلح حالهم وبالهم.

ولكي يعلم العصاة أنها ترجع بكل المخلّفات إليهم أنفسهم، فهي لزامهم ككلّ لازمة ومتعدية، لذلك يصرح:

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١١﴾:

---

(١) في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام مستدلاً بالآية.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٣) الدر المنثور ٢: ٢١٦ عن أبي بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما من عبد أذنب فتوضأ فأحسن وضوءه ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه إلّا كان حقاً على الله أن يغفر له لأن الله يقول: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠].
فيه أخرج أبو يعلى والطبراني وابن مردويه عن أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا جلس وجلسنا حوله وكانت له حاجة فقام إليها وأراد الرجوع ترك نعليه في مجلسه أو بعض ما يكون عليه وأنه قام فترك نعليه أخذت ركوة من ماء فاتبعته فمضى ساعة ثم رجع ولم يقض حاجته فقال: إنه أتاني آت من ربي فقال إنه من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً، فأردت أن أبشّر أصحابي، قال أبو الدرداء: وكانت قد شقت على الناس التي قبلها ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وإن زنى وإن سرق ثم استغفر ربه غفر الله له؟ قال: نعم، قلت: الثانية؟ قال: نعم، قلت: الثالثة؟ قال: نعم على رغم أنف عويمر.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

والإثم هو كلّ ما يبطئ عن الصواب في نفسه الآثم أو أنفس المظلومين به، فـ ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ سوءاً أو ظلم النفس ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ لا على ربِّه حيث لا ينضر بالضرر، ولا على المظلومين حيث يتلافى لهم يوم الدين مهما انضروا يوم الدنيا، حيث الفراغات المفتوحة ظلماً يوم الدنيا هي كلُّها مسدودة محبورة يوم الدين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بالآثمين والمأثومين ﴿حَكِيمًا﴾ في تأجيل خلفية الوزر إلى يوم الدين.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾:

هنا ﴿خَطِيٓـَٔةً﴾ هي التي لا تبطئ عن الصواب، لازمة ومتعدية، ثم ﴿إِثْمًا﴾ يبطئ عنه لازماً ومتعدياً فهو أخطأ من الخطيئة ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾ بما كسب من خطيئة أو إثم ﴿بَرِيٓـًٔا﴾ عنه ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾ على نفسه الخاطئة الأثيمة ﴿بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾

يبين مدى خبثه كما يبين رميه يوماً ما، حيث الظلم ولا سيما الفرية لا يدوم، فقد يظهر يوماً مّا ويفضح صاحبه.

فلا يزعمن مفترٍ أن رميه بريئاً بما افتعل يحمّل البريء وزره، بل هو الذي يتحمل خطيئة نفسه وإثمه ومثله أو مضاعفات معه حيث رمى به بريئاً ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

و«الغيبة أن تقول في أخيك ما هو فيه مما ستره الله عليه فأما إذا قلت ما ليس فيه فذلك قول الله: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

ذلك، وهكذا الذي يكسب خطيئة أو إثماً على حساب بريء توافقا أم لم يتوافقا، ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾ على الله كأنه يقبل ذلك الرمي والحِمل

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[١] حيث يبطئُ نفسه عن الصواب زعم أنه حمَّل غيرَه غير الصواب.

وفي ذلك الجوّ الظليم العميم، المزل المضل، نجد الله تعالى يعصم رسوله النبي الكريم عن كافة المزلات والمضلات، لا فحسب بل وعن اهتمام المضلين أن يضلوه:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾:

هنا ضلال واقع بإضلال المضلين وليس إلّا للضالين، مهما كانوا من المؤمنين قضيةَ ضعف الإيمان وبساطته.

وهناك دفع عن الضلال أمام الضال، وذلك لأفاضل المؤمنين قضيةَ العدالة وقوة الإيمان.

وهنالك في حقل العصمة الربانية، ولا سيما في حق النبي الأعظم الأعصم فضلٌ من الله عليه ﷺ أن يصد المضلين ويسدهم عن أن يهموا بإضلاله، فضلاً عن إضلاله وانفعاله بإضلالهم، وهكذا يقول الله في حقه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ...﴾.

وأين تلك العصمة العالية الغالية، والوصمة عليه ﷺ أنه مال إلى الجدال عن الذين يختانون أنفسهم كما في مختلقات زورٍ بكل إصرار وغرور.

ثم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ فيما يحاولون ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ﴾

(١) نور الثقلين ١: ٥٤٩ تفسير العياشي عن عبد الله بن حماد الانصاري عن عبد الله بن سنان قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: . . .

وهمّ الجدال عن الخائنين ضرر على العصمة القدسية، فهي منفية بنص الآية خلافاً للرواية.

ذلك! حيث ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وهي مما آتاك الله لتحكم بينهم بها كما تحكم بالكتاب، ثم ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ لا «ما لم تعلم» بل ﴿مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ كيفما كنت وأينما كنت وفي أية دراسة أو مدرسة لو كنت، أم أية كينونة من غير ما كوّنه فضل الله العظيم.

وحين يسلب ذلك العلم عن أعقل العقلاء وأسعد السعداء، سلباً بأسره مهما كانت معدَّاته الذاتية والخارجية قوية عالية، فبأحرى سلبه عن كافة العالمين من الجنة والناس وسواهم أجمعين، اللّهم إلّا بفضل الله العظيم غير العميم، حيث خصه بذلك الفضل العظيم.

وهنا ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ تعم مثلث الكتاب والحكمة وما أتاه من غيرهما ليحكم بين الناس بما أراه الله ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[1].

وهكذا يعصم الله رسوله العظيم عن كلّ محاولة وحيلة شريرة مبيَّتة ضده، ولكي يعلم الكائدون ألا يؤثر فيه كيدهم، ويعرف المائدون ألا يتأثر هو بميدهم، ويشعر المتهمون إياه المهتمون بإثبات خطيئة عليه أن ساحته القدسية بريئة عن الخطايا - بل وعن اهتمامها - كلّها بما عصمه الله، فهو في عصمة طليقة ربانية لا غبار عليها.

فتلك هي نعمة يمن بها على الأمة المرحومة، وعلى كافة المكلفين بهذا الدين المتين والرسول الأمين، النعمة التي التقطت المكلفين أجمعين من سفح الجاهلية الجهلاء، لترقى بها في الطريق الصاعد المساعد، إلى القمة

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

البالغة السامقة التي لا تساوى ولا تسامى على مدار الزمن حتى القيامة الكبرى ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾[١]!.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾:

«النجوى» قد تكون مصدراً كـ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٢] تعني مناجاتهم مع بعضهم البعض، أم هم المتناجون أنفسهم ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾[٣] وقد تحتمل هنا المعنيان، ويتأيد الثاني بالاستثناء ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾ تعني من المتناجين.

والنجوى هي في نفس الذات محظورة إذ تُحزن مَن بحضرتها ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٤] حيث الحق صراحٌ لا يحتاج إلى نجوى، فليست النجوى - إذاً - إلّا توطئة شريرة بحق المتناجى عليه، فلا تصلح إلّا في الحق الذي لا يصلح أن يستبان كالنجوى مع الرسول ﷺ بشؤون الحرب أم سائر الشؤون السياسية التي يجب أن تخفى لصالح الجماهير المسلمة.

و﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ فيتناجى فيها كيلا تذاع فتضاع، كما (كل سر جاوز الاثنين شاع).

إذاً فقليل من النجوى محبورة مشكورة، ثم ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا﴾ والمستثنى هو ذلك القليل، إذاً فهو استثناء منقطع، حيث انفصاله يقتضي قليلاً من ذلك الكثير مع سائر القليل.

---

(١) سورة النجم، الآية: ٥٥.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٧.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٠.